مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

المشاعر الإنسانية لقصة مريم (عليها السلام) في سورة مريم

الباحثة. فاتن سعدي عبد الكريم مزيد العاني
أ.د عبد القادر عبد الحميد عبد اللطيف عبد الكريم
جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم علوم القران والتربية الإسلامية
Fat23h4002@uoanbar.edu.iq
ed.abdulqader.alqaisi@uoanbar.edu.iq

الملخص

يهدف البحث الى ابراز المشاعر الإنسانية في قصة مريم (عليها السلام) كما وردت في سورة مريم، ليسهم في بيان هذه المشاعر والفاظها ودلالاتها وتحليلها عند كيفية التعامل معها ضمن المقصد القرآني وتأثيرها على السلوك البشري، وان هذه المشاعر يشترك في احاسيسها طائفة من الناس، ولاسيما الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين، وأول تلك المشاعر هي شعور مريم بالانعزال والابتعاد وهو من علامات الاصطفاء الإلهي، ثم يلي ذلك مشاعرها من الخوف والقلق عند تبليغها بالمعجزة، وكيفه التعامل مع الملك جبريل (عليه السلام)، كما تناول مشاعر تسليم امرها لله سبحانه عندما اخبرها بالمعجزة عيسى (عليه السلام)، ثم تأتي مشاعر المخاض بما فيها من الالام نفسية وجسدية ومشاعرها المضطربة عند الولادة واحساسها بالضعف والخوف والحزن وتأملها في امر قومها ومعرفتهم في ذلك، فالمشاعر التي مرت بالسيدة مريم عليها السلام لم تكن سهلة فتتخلص منها الدروس والعبر من خلال هذه المشاعر والاحاسيس، والتي تعكس قدرة الانسان على التفاعل الإيجابي مهما مرت به الظروف.

الكلمات المفتاحية: (المشاعر الإنسانية، قصة مريم عليها السلام، سورة مريم).

The Human Emotions in the Story of Mary (Peace Be Upon Her) in Surah Maryam

Researcher. Faten Saadi Abdul Kareem
Professor Dr. Abdul Qader Abdul Hameed
Department of Quranic Sciences and Islamic Education, University of Anbar

Abstract

This study aims to highlight the human emotions in the story of Mary (peace be upon her) as presented in Surah Maryam, by examining the expressions of these emotions, their semantic implications, and analyzing how Mary (peace be upon her) dealt with them within the Qur'anic framework, as well as their influence on human

behavior. The study also demonstrates that these emotions are not exclusive to Mary, but are shared by many individuals, particularly prophets and righteous people.

The research first addresses Mary's feelings of isolation and seclusion, which signify divine selection. It then explores her fear and anxiety upon being informed of the miraculous event and her interaction with the angel Gabriel (peace be upon him). Furthermore, it discusses her submission to God's command when she received the news of the birth of Jesus (peace be upon him), and her experiences during labor, encompassing physical and psychological pain, emotional turmoil at childbirth, feelings of weakness, fear, and grief, as well as her reflection on her people's reaction.

The emotions experienced by Mary (peace be upon her) demonstrate how humans can positively engage with challenging circumstances and derive valuable lessons and insights from their spiritual and emotional experiences.

Keywords: (human emotions, the story of Mary peace be upon her, Surah Maryam).

المبحث الأول مفاهيم العنوان

المطلب الأول/ التعريف بالمشاعر

المشاعر هي جزءٌ من حياتنا اليومية، وتعتبر انعكاساً للحالة العاطفية، وتعبيرا عن الواقع الداخلي لخوالج النفوس، فتساعدنا في فهم أنفسنا، وتعزز التواصل والتعاطف مع الآخرين لذا سأذكر بعض القضايا التي تتعلق بالمشاعر على النحو الآتي:

أولا: المشاعر في اللغة: "الحواس" (الجوهري، ١٩٨٧: ٢/٦٩٩؛ ابن منظور، د.ت: ٤/٢٢٧٦)

و "(شَعَرَ) بِالشَّيْءِ بِالْفَتْحِ يَشْعُرُ (شِعْرًا) بِالْكَسْرِ فَطِنَ لَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَيْتَ (شِعْرِي) أَيْ لَيْتَنِي عَلِمْتُ " **(الرازي، د.ت: ١/١٦٥)**، فمشاعر الإنسان: حواسه"، كما في قوله تعالى: (وَمَا يَشْعُرُونَ) **(سورة البقرة، ٩)** أي يفطنون، فالشعور هو الإدراك الحسي أي مشاعر الإنسان حواسه الظاهرة والباطنة **(جبل، ٢٠١٠: ٢/١١٤٥؛ الزمخشري، ١٩٩٨، ١/٥١٠؛ المناوي، ١٩٩٠، ١/٢٠٤)**.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

ثانيا: المشاعر في الاصطلاح: لها عدة تعريفات مختلفة الاتجاهات فقد عرفها علماء التفسير وعلماء النفس كالاتي:

١) **المشاعر عند المفسرين:** الحاسّة او القوة التي بها تدرك الأعراض الحسيّة، والحواسّ: المشاعر الخمس، يقال: حَسَسْتُ وحَسَيْتُ وأَحْسَسْتُ، فَحَسَسْتُ **فمعنى الشعور العلم عن طريق الحس (السمين الحلبي، ١٩٩٦: ٤٠٨/١؛ الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٢٣١/١)**، "وليس لهذه المشاعر مفرد، كما أنه لا مفرد للمحاسن، أو المساوئ، أو المباهج أو غيرها مما شابهها" **(شرف الدين، ٢٠٠٩: ٢٤٠/٢)**

وقد يدل إِدْرَاكُ الْمَشَاعِرِ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، فيفيد إِدْرَاكُ مَا دَقَّ مِنْ حِسِّيٍّ وَعَقْلِيٍّ، فَلَا تَقُولُ: شَعَرْتُ بِحَلَاوَةِ الْعَسَلِ وَبِصَوْتِ الصَّاعِقَةِ، وَبِأَلَمِ كَيَّةِ النَّارِ، وَإِنَّمَا تَقُولُ: أَشْعُرُ بِحَرَارَةِ مَا فِي بَدَنِي **(رضا، ١٩٩٩: ١٢٧/١؛ المراغي، ١٩٤٦: ٥٠/١)**.

وعرف الرازي الشعور بانه "إِدْرَاكٌ بِغَيْرِ اسْتِثْبَاتٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِ وُصُولِ الْمَعْلُومِ إِلَى الْقُوَّةِ الْعَاقِلَةِ وَكَأَنَّهُ إِدْرَاكٌ مُتَزَلْزِلٌ وَلِهَذَا يُقَالُ فِي اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُ يَشْعُرُ بِكَذَا كَمَا يُقَالُ إِنَّهُ يَعْلَمُ كَذَا" **(الرازي، ١٩٨١: ٤٢٠/٢)**

يتضح مما تقدم سابقا ان تعريفات العلماء للمشاعر ما هي الامصطلح أساسي ومهم في حياة الانسان، ونجد جميع تعريفاتهم تدل على الخواطر والادراك والاحساس الباطني والخفايا الإنسانية التي تؤدي الى تفاعلات عاطفية ذات تعابير جسدية وسلوكية، وتؤثر على الفرد وحياته ولها دور مهم في العلاقات التي تربط الانسان مع غيره من افراد المجتمع وهو ما يسمى في المصطلح الحديث بالذكاء العاطفي، مع ملاحظة ان تعريفات المشاعر عند علماء اللغة وعلماء التفسير وعلماء النفس تدور حول مشاعر الإنسانية التي هي مدار بحثنا.

المطلب الثاني / التعريف بالإنسانية

هي كلمة مشتقة من (الانسان) ومنها تعرف القيم والمبادئ التي تجعل من الانسان انسانا حقيقيا، لأنها اصالة ذاتية تلازم الروح الصافية، ولها تعريفات عديدة توضح جوانب متعددة، سأذكر بعض منها على النحو الاتي

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

١) الإنسانية في اللغة: من "الإنْسُ، بالكَسْر: البَشَرُ، (كالإنسان) بالكسْر أَيضاً" **(الزبيدي، ١٩٩٤: ١٥/٤٠٨)**، والانس بمعنى "ظُهُورُ الشَّيْءِ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَالَفَ طَرِيقَةَ التَّوَحُّشِ. قَالُوا: الْإِنْسُ خِلَافُ الْجِنِّ، وَسُمُّوا لِظُهُورِهِمْ. يُقَالُ: آنَسْتُ الشَّيْءَ: إِذَا رَأَيْتُهُ" **(ابن فارس، ١٩٧٩: ١/١٤٥)**، و" الأُنَاسَ بالضم لغة في الناس وهو الأصل والأَنِيسُ المؤانس وكل ما يؤنس به وما بالدار أنيسٌ أي أحد وآنَسهُ بالمد أبصره وآنَسَ منه رشدا أيضا علمه وآنس الصوت أيضا سمعه" **(الرازي، ١٩٩٩: ١/٢٠)**.

٢) الإنسانية في الاصطلاح: وهي القيم والخصائص التي يشترك بها البشر لتبرز مكانة الانسان وكرامته وحقوقه، فهي توجه سلوك الانسان نحو هذه القيم، و تعتبر صفات وخصائص تميزه عن غيره كالرحمة والحب والتفكير العقلاني والرؤية والأحساس، وتعبر عن الانسان ووضعه كونه أداة للإنسانية **(لوقا، ١٩٦٠: ٢/١٥٧)**

ومن ذلك فقد عبر العلماء عن الانسان بانه الحيوان الناطق والكامل منه الذي يعتبر الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية، الكلية والجزئية، التي تعرف بالكتب السماوية، فمن حيث روحه وعقله: كتابٌ عقلي مسمًّى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه: كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه: كتاب المَحْو والإثبات **(ابن قيم الجوزية، ١٩٩٦: ٢/٢٦٤؛ الجرجاني، ١٩٨٣: ٣٨؛ الزرقاني، ١٩٩٥: ٢/٨٦)**

المطلب الثالث/ التعريف بسورة مريم

نسبت السورة الى مريم (عليها السلام) تشريفا واكراما لها، وتعد سورة مريم من السور المثاني التي اوتيها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مكان الانجيل فعن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ) **(الطيالسي، ١٩٩٩: ٢/٣٥١؛ أحمد بن حنبل، ٢٠٠١: ٤/١٠٧؛ النسائي، ١٩٨٦: ١/٣٤١). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن (أحمد بن حنبل، ٢٠٠١: ٤/١٠٧)**. وهي نموذج للتبشير والانذار ويدور سياقها على محور التوحيد ونفي الولد والشريك حيث حسمت السورة قضايا مهمة منها اختلاف اليهود والنصارى حول

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

المسيح، واختلاف العرب واليهود والنصارى في دين إبراهيم وذكرت قصص الأنبياء (عليهم السلام) لتستغرق قصصهم حوالي ثلثي السورة (**قطب، ٢٠٠٣: ٤/٢٣٠٠**).

ويشتمل سياق السورة جانب اخر مهم حيث عرضت الانفعالات والمشاعر القوية التي تتركز في النفس البشرية فالقصص الرئيسية في سورة مريم حافلة بالمواقف العظيمة والمشاعر الإنسانية الواضحة (**قطب، ٢٠٠٣: ٤/٢٢٩٩؛ حوى، ١٩٩٩: ٦/٣٢٤٩**)، التي هي مدار بحثنا.

أولاً / اسماؤها

للسورة ثلاثة أسماء هي

١) **سورة مريم:** وسميت بذلك "لاشتمالها على قصة حمل السيدة مريم، وولادتها عيسى (عليهما السلام)، من غير أب، وأصداء ذلك الحمل، وما تبعه ورافق ولادة عيسى من أحداث عجيبة، من أهمها طفل في المهد" (**الزحيلي، ١٩٩١: ١٦/٤٦؛ الغرناطي، ١٩٨٨: ٢٥١؛ السيوطي، ٢٠٠٤: ٣/١٥٩**).

ونعلم ان السيدة مريم عندما ولدت النبي عيسى (عليهما السلام) من غير اب باعتبار ان هذا الحدث نادر فكانت معجزة فريدة من نوعها وقد أثني عليها القران الكريم وخلد اسمها في سورة كاملة لها وذكرت في آيات أخرى من القران الكريم؛ لأنها تعد من أفضل نساء العالمين، فهي سورة توقيفية، قال ابن عاشور " اسْمُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ وَأَكْثَرِ كُتُبِ السُّنَّةِ سُورَةُ مَرْيَمَ " (**ابن عاشور، ١٩٨٤: ١٦/٥٧**).

وذكر العلماء ان هذه التسمية ذكرت عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ففي معجم الطبراني قال" نْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ: وُلِدَتْ لِي اللَّيْلَةَ جَارِيَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّيْلَةُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ مَرْيَمَ سَمِّهَا مَرْيَمَ فَكَانَتْ تُسَمَّى مَرْيَمَ " (**الطبراني، ١٩٩٤: ٢٢/٣٣٢؛ الهيثمي، ١٩٩٤: ٨/٥٥**)

ويظهر من هذا الحديث ان تسمية السورة بـ (مريم) تخليدا للمعجزة الباهرة في خلق إنسان

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

"عيسى" بلا أب وبعدها نطق وهو طفل بالمهد وما جرت من احداث أخرى رافقت ميلاده (عليه السلام) **(أحمد، ٢٠٠٥: ٦٣؛ القاسمي، ١٩٩٨: ٣/٢٥١)**.

٢) **سورة كهيعص:** وسميت بذلك نسبة الى تسمية الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس لها **(الشوكاني، ١٩٩٤: ٣/٣٧٨؛ ابن عاشور، ١٩٨٤: ١٦/٥٧)**. وقيل لافتتاحها بها **(الفيروزآبادي، ١٩٩٦: ١/٣٠٥؛ العاني، ١٩٩٥: ٢/١٣٦)**. فهي حروف المفتاحية الأولى لسورة مريم التي تعد حروف الهجاء والتي تحدى الله بها العرب على ان كلامهم مؤتلف من هذه الحروف التي تبين اعجاز القران وتبين عجزهم وقد تحدي المشركين في ذلك **(الشوكاني، ١٩٩٤: ١/٣٤؛ علي، ٢٠١٠: ٥٥)**. وكما ذكر ان ابن عباس **(ابن عباس، ٢٠٠٦: ٢٥٣)**، سماها بهذه الحروف الهجائية (وهو اسم من أسماء الله تعالى) **(الشربيني، ١٩٩٤: ٢/٤١٢)**.

٣) **سورة المواهب:** "وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيبة، والعمل الصالح، والعلم النافع" **(ابن تيمية، ١٩٩٥: ٣/٤٠١)**.

ومن خلال ذكر أسماء السورة الثلاث فيما سبق، أجد ان أشهرها تحت تسميتها بسورة مريم وذلك لقوة الأدلة، والتي عرفت به، كما انه مثبت في المصاحف القرآنية، وهو الاسم التوقيفي الذي اوقفنا الله به.

ثانياً/ ترتيبها

اما ترتيبها فقد ذكر الامام السيوطي فقال: "أقول ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب قصة أصحاب الكهف وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب وقصة موسى مع الخضر وما فيها من الخارقات وقصة ذي القرنين وهذه السورة فيها أعجوبتان قصة ولادة يحيى بن زكريا وقصة ولادة عيسى فناسب تتاليهما" **(السيوطي، ٢٠٠٦: ١١٦؛ أبو حيان، ١٩٩٣: ٦/١٦٢)**. وقال البقاعي عن ترتيب سورة مريم بعد سورة الكهف: "ولما كان مقصود التي قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لا عوج فيه .... إلى غير ذلك مما خلله به من بدائع الحكم وغرائب المعاني، فاضحة لمن ادعى الله سبحانه وتعالى ولداً،

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

وختمها بمثل ذلك، وصف الكتاب والتوحيد والعمل الصالح، ابتدأ هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص، تحقيقاً لآية :أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجبا) **(سورة الكهف: ٩)**. بسياق غير ما تقدم فيما مضى من السور، وجزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم المخالفة لما مضى تأييداً لأن كلماته لا تنفد، وعجائبه لا تعد ولا تحد" **(البقاعي، ١٩٨٤: ١٥/١٢)**

ففي هذه الآيات نفحة من نفحات السماء وهي تسكين وتطمين لقلب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فجاءت بأعجب وأوضح اية بعد قصة أصحاب الكهف وهي قصة زكريا في ابنه يحيى (عليهما السلام)، وقصة عيسى (عليه السلام) في كينونته بغير أب ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها إلا بحسب سنة **الله (ابن الزبير الثقفي، ١٩٩٠: ٢٥١/١؛ نايف، ٢٠١٠: ٧٠٠/١)**

يتضح مما تقدم ان سورة مريم فيها معجزتان

الأولى: ولادة يحيى بن زكريا (عليه السلام) حال كبر الوالد وعقم الوالدة أي بين شيخ فان وعجوز عاقر.

الثانية: قصة ولادة عيسى (عليه السلام) من غير أب، وقد جاء ترتيبها بعد سورة الكهف التي تضمنت معجزة اصحاب الكهف أيضا.

ثالثاً: عدد آياتها

ان عدد آيات سورة مريم كما وردت في المصحف العثماني هي ثمان وتسعون آية وهذا في الكوفي والمدني الأول والبصري والشامي، وتسع وتسعون اية في المدني **الأخير (مقاتل بن سليمان، ٢٠٠٣: ٦١٩/٢؛ الداني، ١٩٩٤: ١٨١/١)**. والمكي **(الجعبري، ٢٠٠٦: ٨٧؛ البقاعي، ١٩٨٤: ٢٥٥/٢؛ الحجازي، ١٩٩٣: ٤٤٣/٢؛ الخطيب، ١٩٦٤: ٧٢٠/٨؛ أبو زهرة، ١٩٩٣: ٤٦٠٢/٩)**. ويلاحظ ان سورة مريم فيها عدة اراء للعلماء عن عدد آياتها ولكن الراجح ان عدد آياتها ثمان وتسعون.

والخلاف بين القراء في عدد آياتها هو ان بعض منهم عدها والبعض الاخر لم يعدها، ومنها

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

على سبيل الاختصار الآيات في قوله تعالى (كهيعص) عدها الكوفي وحده ولم يعدها الباقون، (في الكتاب إبراهيم) عدها المدني الأخير والمكي، ولم يعدها الباقون، (فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا)، لم يعدها الكوفي وعدها الباقون، وفيها أيضا مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع وهي أربعة مواضع: (الرأس شيبا)، (وقري عينا)، (للرحمن صوما) (اهتدوا هدى) **(الداني، ١٩٩٤: ١٨١؛ موسى، ٢٠٠٨: ١٠٤)**.

المبحث الثاني/ المشاعر الإنسانية لقصة مريم (عليها السلام)

من منطلق قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ) **(سورة آل عمران: ٤٢)**.

فان هذه الآية التي وصفت بها مريم العذراء بالاصطفاء عن غيرها من نساء العالمين، وتمهيدا للمعجزة العظمى؛ النبي عيسى (عليه السلام) فتحمل به دون أن يكون له أب كسائر الخلق، لتبدأ مرحلة من حياتها محملة بالمشاعر الإنسانية التي اوجدها سبحانه في خلقه فتحمل القصة في طياتها مشاعر كثيرة مختلفة مبينة في المباحث الاتية:

المطلب الأول: المشاعر الإنسانية في انتباذ مريم (عليها السلام) في المكان الشرقي

أولا: مفهوم الانتباذ ودلالاته: أشارت الآيات القرآنية الى قصة مريم (عليها السلام) بالذكر لتشويق السامع والقارئ ويبرز دلالتها الحقيقة وينفي عنها الخرافات والاساطير **(قطب، ٢٠٠٣: ٢٣٠٥/٤؛ ابن عاشور، ١٩٨٤: ٧٩/١٦)**.، قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) **(سورة مريم: ١٦)**.

الانتباذ: "اعتزلت وتنحت، وأصل النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به، أي أنها لم تبال بنفسها حيث انفردت وتباعدت «مِنْ أَهْلِها»" **(العاني، ١٩٩٥: ١٤٤/٢؛ النحاس، ١٩٨٨: ٣١٨/٤)** فقد تنحت وانسحبت الى مكان مهجور **(الخازن، ١٩٩٥: ١٨٤/٣؛ الشوكاني، ١٩٩٤: ٣٨٦/٣؛ أبو زهرة، ١٩٩٣: ٤٦٢١/٩؛ الكتاني، ٢٠٠١: ٢/٢١؛ بنت الشاطئ، ١٩٩٩: ١٧٤/٢)**.

وقد وصف السيد قطب عزلتها هذه بقوله: "فها هي في خلوتها، مطمئنة الى انفرادها، يسيطر

على وجدانها ما يسيطر على الفتاة في حمامها، لكن نفاجأ مفاجئة عنيفة تنقل تصوراتها نقلة بعيدة " **(قطب، ٢٠٠٤: ١٩٥/٢؛ عباس، ٢٠٠٧: ٤٧٩/١)**.

فمشاعر العزلة جاءت للتعبير عن الاطمئنان النفسي الذي عندها هيأت لنفسها مكانا يحجبها عن أقرب الناس اليها أهلها فقد تركتْهم مريم وذهبت، إلى هذا المكان **(الزهراني، ٢٠٠٥: ٧٤/٢؛ الشعراوي، ١٩٩٧: ٩٠١٥/١٥)**.

ويلاحظ عند سرد القصة في الآية القرآنية انها انتقلت من سرد روائي الى سرد حواري فكأنما خلق الحوار ليكون في هذا المكان لتسير الكلمات طيعة مواتية عند ذكر مكان اعتزال مريم (عليها السلام) **(أباظة، ٢٠٠١: ٥٢)**.

المكان الشرقي: "من ناحية الشرق والمشرقة المكان الذي يظهر للشرق" **(الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢: ٢٥٩/١)**، وهذا المكان بارز فهو بيت المقدس، فالمراد: شرقي بيت المقدس **(الشعراوي، ١٩٩٧: ٩٠٥١/١٥؛ العليمي، ١٩٩٩: ٢٤١/٤؛ الجاوي، ١٩٩٧: ٥/٢)**.

ويعد أيضا المكان الذي تشرق فيه الشمس، وإنما خص المكان بالشرق، لأنهم كانوا يعظمون جهة المشرق، حيث تطلع الأنوار **(القرطبي، ٢٠٠٣: ٩/١١؛ طنطاوي، ١٩٩٨: ٢٣/٩؛ الشوكاني، ١٩٩٤: ٣٨٦/٣)**، لذا يمكن ان يلخص معنى المشرق بانه ناحية المشرق الذي يعد قبلة النصارى، وبمعنى مشرقة الدار التي تضلها الشمس وبمعنى أيضا المكان الشاسع البعيد **(الماوردي، ١٩٩٢: ٣٦١/٣)**.

وذكر الخالدي مداخلة عن مكان إقامة مريم (عليه السلام) فقال: "لم يُحَدِّد القرآنُ – ولا الحديثُ الصحيح – المدينةَ التي كانَتْ تُقيمُ فيها مريمُ عابدةً لله، ولم يُحَدِّد المكانَ الشرقيَّ الذي كانتْ تعتزلُ فيه لعبادةِ الله، ولم يُحدد المدةَ التي أَقامَتْها في ذلك المكان، كلُّ هذا من مبهماتِ القرآن التي لم يَرِدْ بيانا لها في مصادرِنا الإسلامية.." **(الخالدي، ٢٠٠٧: ٨٦/١)**.

ثانياً/ أسباب الانتباذ والاعتزال ودلالاته

نشأت مريم (عليها السلام) نشأة ايمانية، فقد تربت على العبادة والطاعة لله سبحانه، وعندما بلغت وكبرت بدأت تعتزل أهلها ولم يكن هذا الاعتزال سلبيا بل كان تأمل وعبادة وخلوة مع الله

سبحانه، فكانت تمكث شرقي بيت المقدس، لتتضرع لله بإخلاص وخشوع وفراغ قلب له سبحانه ولخدمة هذا المكان **(مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٣: ٩٥٢/٦؛ الجاوي، ١٩٩٧: ٥/٢؛ حوّى، ١٩٩٩: ٣٢٦٢/٦؛ طنطاوي، ١٩٩٨: ٢٣/٩؛ القاسمي، ١٩٩٨: ٨٨/٧؛ الزحيلي، ٢٠٠١: ١٤٦٨/٢)**.

وذكر بعضهم سبباً آخر لعزلتها، وذلك لتغتسل من الحيض **(النحاس، ١٩٨٨: ٣١٨/٤؛ الخازن، ١٩٩٥: ١٨٤/٣)**، لذا فان "سبب هذا الستر والحجاب تأمين عدم إحساس الاخرين بأحوال المرأة في هذا المكان المنعزل الصامت وحاجتها الى التطهر، كذلك يجوز ان يكون السبب رغبتها في أداء عبادتها في جو هادئ وساكن وبعيد عن الضجيج لكي تستطيع التركيز في عبادتها وصلاتها " **(كولن، ٢٠١١: ٢١٥)**

وتتلخص اراء المفسرين في سبب الاعتزال على ثلاثة وجوه: **"أولا:** انها طلبت الخلوة كيلا تشتغل عن العبادة، **ثانيها:** أنها عطشت فخرجت إلى المفازة تستقي، **ثالثها:** أنها كانت في منزل زوج أختها زكريا وفيه محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها وثوبها فانفرجت لها الشمس فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل" **(الشربيني، ١٢٨٥هـ: ٤١٨/٢)**.

وعلل الشعراوي اختيارها الجهة الشرقية انهم كانوا " يتفاءلون بشروق الشمس، لأنها سِمَة النور المادي الذي يسير الناس على هُدَاه فلا يتعثرون، وللإنسان في سَيْره نوران: نور مادىّ من الشمس أو القمر أو النجوم والمصابيح، وهو النور الذي يظهر له الأشياء من حوله، فلا تصطدم بما هو أقوى منه فيحطمك ولا بأضعف منه فتحطمه، وكذلك له نور من منهج الله يهديه في مسائل القيم، حتى لا يتخبّط تائهاً بين دُروبها، ومن ذلك قوله تعالى: {الله نُورُ السماوات والأرض} **(سورة النور: ٣٥)** ثم يقول بعدها: {نُّورٌ على نُورٍ}، أي: نور السماء الذي ينزل بالوحي لهداية الناس" **(الشعراوي، ١٩٩٧: ٩٠٥١/١٥؛ القرطبي، ٢٠٠٣: ٩٠/١١؛ ابن عطية، ٢٠٠١: ٩/٤؛ الشوكاني، ١٩٩٤: ٣٨٦/٣)**.

وقد ذكر القران مشاهد القصة القرآنية لسورة مريم ومنها خصائص القصة التي تتضمن

العواطف والانفعالات ليتأمل السامع والقارئ ويتدبر الآيات بمشاعر إنسانية، وهذه المشاعر وجدت في قصة مريم التي بدأت في الانعزال عن الاهل والقوم ولتنتهيأ لمعجزة كبرى **(عباس، ٢٠٠٧: ١/٤٧٩)**.

ثالثاً/ نتائج الانتباذ والاعتزال ودلالة المشاعر فيه

لقد كان في اعتزال مريم عليها السلام فيه خيرا لها ولامتها، فقد كانت تخدم في بيت الله وتتعبد، وكانت تتهيأ لأمر قد قدر لها في حادث عجيب لم تشهده البشرية في تاريخها كله، ولان سنة الله في الانسان وتناسله كان ولا يزال من ذكر وانثى، فأراد الله سبحانه ان يضرب لهم مثلا في خلق عيسى (عليه السلام) ليذكرهم في حرية القدرة وطلاقة الإرادة فكانت الحادثة الوحيدة امام انظار البشرية جمعاء تؤكد لهم حرية المشيئة قال تعالى: **(وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ) (سورة مريم: ٢١)**، ولاختلاط المشاعر الإنسانية عند البعض نظروا للحادثة بشكل غريب لا يصدق، وعز عليهم ان تتصور طبيعته وتدرك حكمة الله في ابرازه، فجعلوا صفات الالوهية في النبي عيسى (عليه السلام) مع صياغة الخرافات والاساطير المنسوبة اليه **(قطب، ٢٠٠٣: ٤/٢٣٠٥)**، فجعل النصارى مكان الشرق قبلة لهم **(الطبري، ٢٠٠٠: ١٨/١٦٢؛ العليمي، ١٩٩٩: ٤/٢٤١؛ الشنقيطي، ١٩٩٥: ٣/٣٨٥؛ الزحيلي، ٢٠٠١: ٢/١٤٦٨)**، الا اننا كمسلمين ندرك الحكمة الإلهية في خلقه فهو اثبات للقدرة الإلهية التي لا تتقيد واثبات لعقيدة التوحيد، ورأي الباحثة في ان المشاعر الإنسانية عند السيدة مريم (عليها السلام) في اعتزالها أهلها كانت مشاعر فيها تأمل وحياء وخوف وعبادة لله سبحانه، وقد جمعت الآية القرآنية هذه المشاعر لتوظيف الاعجاز القرآني النفسي بكلمة انتباذ أي انها ابتعدت بإرادتها بحثا عن خلوة تتعبد فيها بعيدة عن ضجيج الناس.

المطلب الثاني/ المشاعر الإنسانية لأرسال الروح الأمين لمريم (عليها السلام)

أولا/ مفهوم الروح الأمين ودلالته

إنَّ التصوير القصصي لسورة مريم في القران الكريم، يتسع أكثر وأكثر ليوضح الانفعالات والعواطف مع نقل الاحداث، فتسرد لنا الآيات القرآنية الاحداث بعد احتجاب مريم (عليها

السلام) عن أهلها ودخول الملك عليها كما في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) **(سورة مريم: ١٧)**.

الروح: جبريل (عليه السلام) **(الجزائري، ٢٠٠٣: ٢٩٩/٣)**، وهي الكلمة التي لها اطلاقات أخرى متعددة ذكرها المفسرين ومنهم الشعراوي (رحمه الله) قال " أولها الروح التي بها قِوام حياتنا المادية، فإذا نفخَ الله الروح في المادة دبَّتْ فيها الحياة والحِسّ والحركة، ودارت كل أجهزة الجسم، وهذا المعنى في قوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ} **(سورة الحجر: ٢٩)**، وكما سمَّى الله السِّرَّ الذي ينفخه في المادة فتدبّ فيها الحركة والحياة «روحاً»، كذلك سمَّى القيم التي تحيا بها النفوس حياة سعيدة «روحاً»، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا} **(سورة الشورى: ٥٢)**، أي: القرآن الكريم، كما سَمَّى الملَك الذي ينزل بالروح رُوحاً: {نَزَلَ بِهِ الروح الأمين} **(سورة الشعراء: ١٩٣)**، وهو جبريل عليه السلام" **(الشعراوي، ١٩٩٧: ٩٠٥٢/١٥-٩٠٥٣)**، وقد ذهب بعض العلماء الى القول: "هُوَ رُوحُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ، فَرَكَّبَ الرُّوحَ فِي جَسَدِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي خَلَقَهُ فِي بَطْنِهَا" **(القرطبي، ٢٠٠٣: ٩٠/١١)**

بشرا سويا: كالبشر مستوي الخلقة؛ فلا هو بالكسيح، ولا الأعمى؛ له وجه حسن، مستوي الجسم **(ابن الخطيب، ١٩٩٦: ٣٦٧/١)**.

وأضافه الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ سبحانه تكريما وتشريف، وتسميت جبريل روحا لان الدين يحيى به وبوحيه **(القرطبي، ٢٠٠٣: ٩٠/١١؛ المظهري، ٢٠٠٤: ٨٨/٦؛ الشنقيطي، ١٩٩٥: ٣٨٦/٣)**، "فجبريل من حيث ما يحمل من الرسالة الإلهية تحيا به القلوب، والروح تحيا به الأجسام " **(طنطاوي، ١٩٩٨: ٢٥/٩)**

وللروح معاني أخرى، قيل: بانه سُمِّي رُوحاً على المجازِ؛ لمحبته، كما تقول لحبيبك: رُوحِي، وقيل: المرادُ من الرُّوح: عيسى – عليه السلام – جاء في صورة بشرٍ، فحملت به **(ابن عادل، ٣٣/١٣)**.

ثانياً/ أسباب ارسال الروح الأمين

عندما فاجئ الملك جبريل (عليه السلام) مريم العذراء في خلوتها، واستثارت التقوى في نفسه (ان كنت تقيا)، ولم تستغرب من شكله لأنه جاء على هيئة انسان لتستأنس بكلامه، فلو جاءها على هيئته الملكية لنفرت منه، وهذا مراعاة لمشاعرها الإنسانية من الفزع والخوف منه، وقد تكون حكمة مجيئه الملك بصورة حسنة لابتلاء مريم العذراء وسبر عفتها وقد ظهرت منها العفة والورع، وبعد رؤيتها له خافت منه واستعاذت بالله في ان يحفظها برحمته، فرد عليها جبريل (عليه السلام) ليطمئنها: انه مرسل من الله سبحانه **(مجمع البحوث الإسلامية، ٦/٩٥٢-٩٥٣)**.

والسبب الرئيسي في ارساله ليهب لها غلاما زكيا، ومع اخباره لها ذلك لم تثق مريم العذراء في الخبر كونه امر عظيم وليس بهين، فعند سرد قصة مريم نرى الموقف الصعب على مريم العذراء (عليها السلام) خاصة في مشاعرها وانفعالاتها وردة فعلها والتي راودتها في تلك للحظة وحالتها النفسية كذلك **(قطب، ١٩٦٤: ٢/١٩٦)**، فقد وصف سيد قطب (رحمه الله) دلالة استفسارها من الملك جبريل (عليه السلام) في حملها بالنبي عيسى (عليه السلام) وبدون تردد قائلا "فالحياء هنا لايجدي، والصراحة أولى. كيف؟ وهي عذراء لم يمسسها بشر، وما هي بغي فتقبل الفعلة التي تجيء منها بغلام! ويبدو من سؤالها أنها لم تكن تتصور حتى اللحظة وسيلة أخرى لأن يهبها غلاما إلا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى. وهذا هو الطبيعي بحكم التصور البشري" **(قطب، ٢٠٠٣: ٤/٢٣٠٦)**، اما سبب استعاذتها بالله وذكر الرحمن "لتثير مشاعر التقوى في نفسه، إذ من شأن الإنسان التقى أن ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، وأن يرجع عن كل سوء يخطر بباله" **(طنطاوي، ١٩٩٨: ٩/٢٥)**.

ثالثاً/ نتائج ارسال الروح الأمين

من أكثر الأمور افزعت مشاعر السيدة مريم (عليها السلام) بعد ان أخبرها الملك جبريل في حملها بعيسى (عليه السلام) العجب والحيرة ومن ثم أصابها هم وحزن بشعور فيه انفعال، فقد بلغت ذروة انفعالها انها تمنت الموت على الحياة حين عرفت أنه ملك، وأنه مأمور من الله

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

بذلك، وأنه سيكون لها ولد (قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا) **(سورة مريم: ٢٣)**، فنقلت المشاعر والانفعالات. وأوضح القران شخصيتها من خلال تعبيره وتصويره للأحداث **(الراغب، ٢٠٠١: ٢٩٥/١؛ عبَّاس، ٢٠٠٧: ٤٨٠/١)**.

وذكر الشوكاني وصفاً للقاء الروح الأمين بمريم (عليها السلام) وما نتج عنه بقوله: "وَلِنَجْعَلَهُ رَحْمَةً عَظِيمَةً كَائِنَةً مِنَّا لِلنَّاسِ لِمَا ينالونه منه مِنَ الْهِدَايَةِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ رَحْمَةٌ لِأُمَّتِهِ وَكانَ أَمْراً مَقْضِيًّا أَيْ: وَكَانَ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ أَمْرًا مُقَدَّرًا قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَجَفَّ بِهِ الْقَلَمُ فَحَمَلَتْهُ هَاهُنَا كَلَامٌ مَطْوِيٌّ، وَالتَّقْدِيرُ: فَاطْمَأَنَّتْ إِلَى قَوْلِهِ فَدَنَا مِنْهَا فَنَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا فَوَصَلَتِ النَّفْخَةُ إِلَى بَطْنِهَا فَحَمَلَتْهُ" **(الشوكاني، ١٩٩٤: ٣٨٧/٣)**.

فمشاعر الرضى بالقدر والتسليم لأمر الله هو عمل الصالحين والصالحات مهما عظم الامر وكبر، فنرى بداية القصة تتفاجأ مريم (عليها السلام) عند دخول الروح الامين اليها وهو على هيئة البشر، وتتفاجئي مرة أخرى بالمعجزة الإلهية عندما بشرها في ابنها عيسى (عليه السلام) **(مطاوع، ١٩٩٢: ٧٤؛ قطب، ٢٠٠٤: ١٩٦/٢)**، ونتيجة لذلك فقد أصبحت مشاعر السيدة مريم ما بين عجب وفزع ورضى بما قدر الله سبحانه.

المطلب الثالث/ المشاعر الإنسانية لمريم عندما جاءها المخاض

أولا/ مفاهيم ودلالات المخاض: صور القران الكريم المشاهد التي مرت بها السيدة مريم (عليها السلام) عندما فاجئها الملك في حملها والذي اختلف في مدته **(الرازي، ١٩٩٩: ٢٥٢/٢١؛ ابن الجوزي، ٢٠٠٢: ١٢٥/٣)**.

وتبعاً للنص القرآني فهو لم يذكر المدة الزمنية التي حملت بها السيدة مريم (عليها السلام) فقد بقي الامر فيه محتمل ومختلف، وواضح من ذلك انها لم تمر بمراحل الحمل التي تمر بها نساء العالمين ليبقى ذلك اعجازاً قرآنيا في امر الله ودليلاً على ارادته سبحانه في خلقه كيفما يشاء في عباده.

وذكر القران ان اعتزالها كان في مكان بعيد قبل ان يأتي موعد ولادتها، فقد كانت من ابلغ المشاهد القرآنية لأنها جمعت مشاعر الحزن والخوف والوحدة، وامتزج فيها الألم الجسدي مع

المعاناة النفسية فصور التعبير المشاعر الإنسانية في لحظة الابتلاء، كما في قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) **(سورة مريم: ٢٣)**، فَأَجَاءَهَا " «أَلْجَأَهَا» **(مجاهد، ١٩٨٩: ١/٤٥٤)**.

والمخاض: "هو الألم الذي ينتاب المرأة قبل الولادة، وليس هو الطَّلْق الذي يسبق نزول الجنين" **(الشعراوي، ١٩٩٧: ١٥/٩٠٦٤)**، وَسُمِّيَ مَخَاضًا مِنَ الْمَخْضِ، اي الْحَرَكَةُ الشَّدِيدَةُ بسبب تَحَرُّكِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِهَا إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ **(الشنقيطي، ١٩٩٥: ٣/٣٩٠؛ طنطاوي، ١٩٩٨: ٩/٢٨)**.

ونسياً من النسئ "(بفتح النون وكسرها) الشيء الحقير الذي من شأنه أن ينسى ولا يذكر ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل، والمنسي: ما لا يخطر بالبال لتفاهته" **(المراغي، ١٩٤٦: ١٦/٤٣؛ الشوكاني، ١٩٩٤: ٣/٣٨٨)**.

فالآية القرآنية دلت على ان المخاض لازمها أي حضرها والمعنى مجازا فالأصل بالمجيء في الاعيان دون المعاني ومنه جاءها صبر عليه **(التستري، ٢٠٠٤: ١٠٢؛ الحلبي، ١٩٩٦: ١/٣٦١؛ طنطاوي، ١٩٩٨: ٩/٢٨)**، والآية تصور لنا هواجس السيدة مريم (عليها السلام) وخوفها وحزنها و" هي تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية، تواجه المخاض الذي «أجاءها» إجاءة إلى جذع النخلة، واضطرها اضطرارا إلى الاستناد عليها. وهي وحيدة فريدة تعاني حيرة العذراء في أول مخاض ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء.. فإذا هي قالت: «يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا» فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها ونلمس مواقع الألم فيها وهي تتمنى لو كانت (نسيا)": تلك الخرقة التي تتخذ لدم الحيض ثم تلقى بعد ذلك وتنسى" **(قطب، ٢٠٠٣: ٦/٤٤١؛ عبَّاس، ٢٠٠٧: ١/٤٨١)**

ودلالة الجذع في الآية ان مريم استندت عليه عندما كانت تعاني من آلام الولادة لتدل على امر في غاية الأهمية وهو ان المرأة حينما يأتي وقت ولادتها تحتاج إلى ما تستند إليه، ليخفف عنها ألم الوضع، أو رفيقة لها تفزع إليها وتقاسمها هذه المعاناة، فألجأها المخاض إذن إلى جذع (النخلة)، وجاءت النخلة مُعرَّفة لأنها نخلة معلومة معروفة، وحددت الآية جذع النخلة

على سبيل المبالغة **(الجزائري، ٢٠٠٣: ٣/٣٠١؛ الشعراوي، ١٩٩٧: ١٥/٩٠٦٤؛ الرضي، ٢٠٠١: ٢/٢١٩؛ الخطيب، ١٩٧٠: ٨/٧٣١؛ القطان، ١٩٩٣: ٢/٣٩٤)**.

وايراد قصة ولادة مريم (عليها السلام) له دلالتها فهي: "تقرير الحق فيما يمتري الناس السامعون فيه، يمكن أن يكون قرينة أو دليلا على نزول الآيات في مناسبة موقف جدلي واقعي بين النبي صلى الله عليه وسلم والعرب، أو بينه وبين النصارى، أو في مجلس كان فيه فريق من هؤلاء وفريق من هؤلاء، أو بناء على سؤال ورد على النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة أمر عيسى عليه السلام وولادته" **(دروزة، ٢٠٠٠: ٣/١٤٧)**.

ثانياً/ الأسباب الانسانية لمشاعر المخاض عند السيدة مريم (عليها السلام)

المخاض تجربه إنسانية تمر بها المرأة، وتتأثر بجوانب متعددة منها النفسي والجسدي والعاطفي والاجتماعي، فيؤثر ذلك على مشاعرها وحالتها النفسية، والسيدة مريم (عليها السلام) مرت بتجربة الحمل والولادة التي كانت مختلفة عن جميع نساء العالمين، فمنذ ان حملت مريم بولدها عيسى (عليه السلام) ومن ثم اعتزلت أهلها مكان بعيد حتى وقت ولادتها، كانت تشعر بانها فعلت امرا منكرا معبرة بذلك عن حالتها النفسية وهي تعيش حالة النفور من المجتمع ونفور المجتمع منها وجعلها تتمنى لو كانت نسيا منسيا **(النبهان، ١٩٩١: ٢٨٢)**.

لكن الغاية الإنسانية في ولادة النبي عيسى (عليه السلام) جاءت مفسرة في ظاهر الآيات من سورة مريم، قال تعالى: **(وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) (سورة مريم: ٢١)**، فمن الأسباب الإنسانية انه رحمة للعالمين ومعجزة الهية خالدة، وهو من ابرز الآيات الدالة على قدرته سبحانه، فقد بين السعدي انه رحمة الله لهم بدلالة واضحة ، فقال " أما رحمة الله به فلما خصه الله بوحيه ومن عليه بما من به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته فلما حصل لها من الفخر والثناء الحسن والمنافع العظيمة وأما رحمته بالناس فإن أكبر نعمه عليهم أن بعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فيؤمنون به ويطيعونه وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة" **(السعدي، ٢٠٠٠: ١/٤٩١)**.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

ثالثاً/ اهم المشاعر ونتائجها عند المخاض للسيدة مريم (عليها السلام)

لقد وجدت مريم (عليها السلام) نفسها وحيدة في مكان بعيد عن أهلها عندما جاءها المخاض، فأثار هذا الموقف في نفسها الخوف والحزن واليأس، وقد وصف الزحيلي تلك المشاعر قائلاً: "إننا لنقدر عاليا تلك المشاعر الجياشة المؤلمة التي أحسّت بها السيدة مريم العذراء البتول، حين اقتراب ميعاد وضع حملها المبارك، وهي المرأة المنقطعة للعبادة، القائمة بحقوق الله تعالى على أتم وجه، وهي من بيت كريم ونسب شريف، إن الناس لا يعذرون من كان أقل شأنا أو رتبة من السيدة مريم، إذا ظهر عليها الحمل، وهي بكر، فما بالك بمريم؟! لقد عانت معاناة شديدة من ظهور بوادر المخاض، فماذا تعمل؟ إنها اعتصمت بالصبر، وادرعت بالإيمان المتين، وفوضت الأمر لله ربها، وتوكلت عليها، وهذه المشاعر الأليمة صوّرتها لنا الآيات التالية: (فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ ....)، فبعد اكتمال مدة الحمل بعيسى في بطن أمه، اضطرها المخاض وألجأها وجع الولادة وألم الطلق إلى الاستناد إلى جذع نخلة، لتسهيل الولادة، فتمنت الموت قبل ذلك الحال، أو تكون شيئا متروكا محتقرا، أي جعلها في عداد المنسيين حيث لم تخلق ولم تك شيئا، استحياء من الناس، وخوفا من ظن السوء بها، دينا وخلقا وسمعة وسلوكا" **(الزحيلي، ٢٠٠١: ١٤٧١/٢)**، فاجتمع عليها الهم والحزن والحياء والخوف من الناس وملامتهم، او ان يخطر ببال احد من الناس شيئا لا تستحقه، فتمنت الموت في تلك الساعة **(طنطاوي، ١٩٩٨: ٢٨/٩؛ المراغي، ١٩٤٦: ٤٤/١٦؛ القاسمي، ١٩٩٨: ٩١/٧؛ المبارك، ١٩٩٦: ٥١/٣)**،وغالبا فان سبب تمنى السيدة مريم(عليها السلام) الموت كانت مشاعر الحياء من الناس ولا تريد ان يأثموا بسببها وبقذفهم لها، ومشروعية احساسها في ذلك هو شدة حياءها ولم يكن حرصا على سمعتها الاجتماعية فحسب بل حرصا على السمعة العبادية فمثل هذه المسائل تصبح فكرا وشعورا قويين تحمله السيدة مريم لذا كان من الصعب تحمل ذلك فتمنت ان تكون نسيا منسيا **(ابن الجوزي، ٢٠٠٢: ١٢٥/٣؛ البستاني، ٢٠٠٩: ٨٠/٣؛ كولن، ٢٠١٢: ٢١٧)**.

لقد كان احدى الوقائع انها" تمنت هذه الأمنية وهي في خضم الثواني الأولى من الهزة العنيفة التي جابهتها والتي لم تستطع آنذاك ان تستعين بمنطقها في تخفيف وقع هذه الهزة عليها، كما لو كان لقاء الله تعالى ضمن تلك الأمنية ونتيجة لها" **(كولن، ٢٠١٢: ٢١٧)**، ومع ذلك كان الإحساس عميق في مشاعرها لظهور كربين:

"**الكرب الأول:** احتملته ورضيته بحكم الفطرة وهو كره الولادة، والكرب الثاني: العار الذي زعمته ويستقبلها، فإنها البريئة الطاهرة تستقبل اتهاما وهي البريئة وذلك عبؤه على البريء ثقيل" **(أبو زهرة، ١٩٨٧: ٤٦٢٧/٩)**.

وعلل أبو زهرة عند تمنيها الموت قائلا: "أنها ما قالت الذي قالته تململا مما أراد رب العالمين لها من كرامة، وإنما كان ذلك استشعارًا من ضعفها وصعوبة الاحتمال، وإن كانت راضية بما قضى الله وبما أمر، غير خالعة ربقة، ولا متمردة على طاعة" **(أبو زهرة، ١٩٨٧: ٤٦٢٧/٩)**.

وبصورة عامة فان ولادة المرأة ليس امرا عاديا ولا سهلا فبها تنتابها مشاعر القلق والغلبة والتي تدفعها الى الدعاء الخالص من قلب مبتلى قد ضاقت عليه السبل ولم تجد منفذا او خلاصا الا بالفرار الى ربها فلا ملجأ ولا منجى الا اليه، وكان تفكير السيدة مريم (عليها السلام) ابعد من ذلك لتتمنى ان تكون نسيا منسيا **(الخاطري، ٢٠١٢: ١٢١)**.

ورأي الباحثة ان مشاعر المخاض عند السيدة مريم (عليها السلام) قد وردت في ظاهر الآية تعبر عن حزنها وحيرتها في وحدتها لا يخفف عنها الا ايمانها بالله سبحانه، فكان انفعالها الإنساني عند مخاضها ان تمنت الموت خشية مواجهه الناس في ان يساء اليها.

المصادر

١. أباظة، ثروت. (٢٠٠١). السرد القصصي في القرآن الكريم. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (٢٠٠٢). زاد المسير في علم التفسير. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٩٥). مجموع الفتاوى. ط١. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤. ابن جرير الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. ط١. تونس: الدار التونسية للنشر.

٦. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي. (٢٠٠١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٧. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٢. القاهرة: دار الفكر.

٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٦). بدائع الفوائد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

١٠. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (١٩٩٣). البحر المحيط في التفسير. ط١. بيروت: دار الفكر.

١١. أبو زهرة، محمد بن أحمد. (١٩٩٣). زهرة التفاسير. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٢. أحمد، السيد إبراهيم. (٢٠٠٥). سياحة الوجدان في رحاب القرآن. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٣. الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب. (٢٠٠٩). المفردات في غريب القرآن. ط٤. دمشق: دار القلم.

١٤. البقاعي، إبراهيم بن عمر. (١٩٨٤). مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

١٥. البقاعي، إبراهيم بن عمر. (١٩٨٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ط١. القاهرة:

دار الكتاب الإسلامي.

١٦. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (١٩٩٩). التفسير البياني للقرآن الكريم. ط١. القاهرة: دار المعارف.

١٧. الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٣). التعريفات. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٨. الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.

١٩. الحجازي، محمد محمود. (١٩٩٣). التفسير الواضح. ط١. القاهرة: دار الجيل الجديد.

٢٠. الخازن، علي بن محمد. (١٩٩٥). لباب التأويل في معاني التنزيل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢١. الخطيب، عبد الكريم يونس. (١٩٧٠). التفسير القرآني للقرآن. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٢. الداني، عثمان بن سعيد. (١٩٩٤). البيان في عدّ آي القرآن. ط١. الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

٢٣. دروزة، محمد عزت. (٢٠٠٠). التفسير الحديث. ط١. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٢٤. الرازي، محمد فخر الدين. (١٩٨١). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ط١. بيروت: دار الفكر.

٢٥. الراغب، عبد السلام أحمد. (٢٠٠١). وظيفة الصورة الفنية في القرآن. ط١. عمّان: دار عمار.

٢٦. الزبيدي، محمد بن محمد. (١٩٩٤). تاج العروس من جواهر القاموس. ط١. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.

٢٧. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (١٩٩١). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط١. دمشق: دار الفكر.

٢٨. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (٢٠٠١). التفسير الوسيط. ط١. دمشق: دار الفكر.

٢٩. الزرقاني، محمد عبد العظيم. (١٩٩٥). مناهل العرفان في علوم القرآن. ط١. بيروت: دار الفكر.

٣٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط١. الرياض: دار السلام.

٣١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠٠٤). الإتقان في علوم القرآن. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٢. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب. (١٩٩٤). السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٣. الشعراوي، محمد متولي. (١٩٩٧). خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم. ط١. القاهرة: أخبار اليوم.

٣٤. الشنقيطي، محمد الأمين. (١٩٩٥). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ط١. بيروت: دار الفكر.

٣٥. الشوكاني، محمد بن علي. (١٩٩٤). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط١. بيروت: دار ابن كثير.

٣٦. الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٧. طنطاوي، محمد سيد. (١٩٩٨). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط١. القاهرة: دار نهضة مصر.

٣٨. العاني، عبد القادر بن ملا حويش. (١٩٩٥). بيان المعاني. ط١. دمشق: مطبعة الترقي.

٣٩. عباس، فضل حسن. (٢٠٠٧). التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث. ط١. عمّان: دار النفائس.

٤٠. القاسمي، محمد جمال الدين. (١٩٩٨). محاسن التأويل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤١. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (٢٠٠٣). الجامع لأحكام القرآن. ط١. القاهرة: دار

الكتب المصرية.

٤٢. قطب، سيد. (٢٠٠٣). في ظلال القرآن. ط٣٢. القاهرة: دار الشروق.

٤٣. قطب، سيد. (٢٠٠٤). التصوير الفني في القرآن. ط١٧. القاهرة: دار الشروق.

٤٤. المراغي، أحمد مصطفى. (١٩٤٦). تفسير المراغي. ط١. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٤٥. مطاوع، سعيد عطية علي. (١٩٩٢). الإعجاز القصصي في القرآن الكريم. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة.

٤٦. المناوي، محمد عبد الرؤوف. (١٩٩٠). التوقيف على مهمات التعاريف. ط١. القاهرة: عالم الكتب.

٤٧. النبهان، محمد فاروق. (١٩٩١). المدخل إلى علوم القرآن الكريم. ط١. دمشق: دار القلم.